

محمد أحمد جاد المولى

للدكتور زكى مبارك

في الساعة الثامنة من صباح اليوم حدثني الأستاذ عبد الله الصفتى تليفونيا بنبأ حزين لم يتحدث بمثله من قبل وهو يقول : عظم الله أجرك في جاد المولى بك !

قلت : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وكررتها نحو عشر مرات وأنا مأخوذ بصدمة لم تكن تخطر في البال ، فقد كان جاد المولى بك في صحة وعافية ، وكانت ملامح وجهه تنبئ بأنه لن يموت قبل التسعين أو الثمانين

وأحرق الحزن بقلبي من كل جانب ، فقد تصورت ما ضيه وما ضي في رعاية صداقة غالية كانت مضرب الأمثال ، بحيث اعتقد كثير من الناس أنه لم يصادق غيري وأنا لم أصادق سواه ، فأوقع بيننا ما يوجب اللام في محضر أو منيب ، ولا سمع عني أو سمعت عنه ما يستوجب العتاب

كذلك تصورت ، وكذلك توهمت أنني فجعت فيه وحدي ، ثم كانت النتيجة أن يتبدد ما تصورت وما توهمت ، فقد رأيت جميع من في وزارة المعارف يترجون عليه ، ورأيت فيهم من يكاه بالدمع وهو الدكتور رياض

زُيِّلَت وزارة المعارف لموت هذا الرجل ، وعدت بجمعيتها فيه من الفواجع الفواحش ، وتمثل الجميع ما كان عليه من سجاحة النفس ودماثة الأخلاق

وأدنى رجال المعارف واجبههم نحو قعيدم الغالى فلبسوا نعيه إلى مدارس القاهرة ليشارك جميع المدرسين في تشييع جثمانه إلى القبر الأخير

وأردت أن أشارك في توديعه ، ولكنى لم أستطع فقد عجزت على أن أرى جاد المولى بك محمولا على نعش ، وكان بالأمس ملء العيون والقلوب

لم يبق إلا أن أودع هذا الرجل بكامة تقرب صورته إلى من جهلوه ، وما أكثر من جهلوه ، والحكيم يعيش في زمانه عيشة الغرباء

برايه محمدين

كان جاد المولى بك في طليعة إخوانه بدار العلوم ، فأوفدته وزارة المعارف إلى إنجلترا في بعثة علمية ، وحين عاد أعجب به المغفور له حسن باشا عبد الرازق فاقترح على عظمة السلطان حسين كامل منحه رتبة البكوية ، وكانت تلك الرتبة لا تمنح للشبان ، فكان أول من نالها بفضل تفوقه وهو في عنفوان الشباب .

ثم رأى أن يتعرف إلى الجمهور فألقى محاضرتين علميتين عن النزالي وابن خلدون ، فكان غاية في الفهم لابتكارات هذين الفيلسوفين العظيمين

وفي سنة ١٩٢٤ أرسلت إدارة الجامعة المصرية خطابا إلى وزارة المعارف تدعوها فيه إلى تكليف أحد رجالها الاشتراك في لجنة امتحان الدكتوراه في الفلسفة بجانب الأستاذ عبده بك خير الدين ، وكان وكيل المعارف حينذاك عاطف باشا بركات ، فاقتار جاد المولى بك ، ولهذا الاختيار قيمة نفيسة ، فقد كان عاطف باشا من أعرف الناس بأقدار الرجال

كنت أنا الطالب الذى يؤدى امتحان الدكتوراه في الفلسفة وكنت أنا الذى جهل أن وزارة المعارف رمت منه بدهاية ، فقد وجهته إلى أسئلة أثارته الجمهور وحملت الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ محمد الأبيارى على أن بغضبا غضبة إسلامية ، ولولا تطف الدكتور منصور بك فهمى لاقلب ميدان الامتحان إلى ميدان قتال

كان من رأى جاد المولى بك حين خلت اللجنة للمداولة أنها غير مسئولة عن آرائى في كتاب الأخلاق عند النزالي ، ولكن الدكتور منصور بك فهمى أقنعه بأن لجنة امتحان الدكتوراه لا تعرف غير شيء واحد هو قدرة الطالب على تأييد آرائه ولو انتهت إلى الضلال !

الزكى المتقاني

كان جاد المولى بك غاية في الذكاء ، وكان غاية في التناوب ما أذكر أن مشكلة غاب عنه فهمها على الوجه الصحيح ، ولا أذكر أنه أخطأ الفهم لشأن من الشؤون

كان يثق بي فيحدثني عن آرائه في المجتمع ، فأرى له
مذاهب من الفكر تنيب عن أكثر الرجال

شهير الواجب

بلغ جاد المولى بك سن التقاعد قبل شهر ، ولكن معالي
الهلالي أشارأى أن يقترح على مجلس الوزراء مدّة خدمته سنتين ،
للاستفاد من خبرته التعليمية ، فبالغ جاد المولى بك في نشاطه ليؤيد
حقه في ثقة ذلك الوزير الجليل

وفي أحد أيام الأسبوع الأخير من شهر أغسطس الماضي
كنت بحضوره الهلالي باشا في مكتبه بالأسكندرية ، لأحدثه
في شؤون تستوجب لقاءه هناك

وفي أثناء الحديث صلصل تليفون المعارف بالقاهرة ليقول
الوزير لوكيل ما نصه بالحرف :

« يجب أن تنتهي حركة التنقلات قبل اليوم العاشر من
سبتمبر ، ليمر المدرسون إلى أين يتوجهون ... شغل جاد
المولى بك »

وعند رجوعي إلى القاهرة رأيت من الأمانة أن أبلغ جاد
المولى بك ما سمعت ، فطلب جميع معاونيه من إجازاتهم
بالبرقيات لينجز حركة التنقلات بأسرع ما استطاع

والذي يعرف أن متاعب مدرسي اللغة العربية ليس لها حدود
يعرف كيف يعاني من يحاول راحتهم من شديد المناء

ضغط الدم قتل جاد المولى بك ، وهو مريض لا يصابول
غير شهداء الواجب ... فعلى روح هذا الشهيد ألف تحية
وآلف سلام

كانت لهذا الرجل مفاضبات في أعوامه الأخيرة ، ولكنه لم
يناضبني في أي يوم . كانت عبارته حين يلقي : أهلاً بك أكثرنا

فسلام عليك يا أكرم أستاذ وأشرف صديق

لو أنشأنا مليون مدرسة لما استطعنا أن ننشئ فتي في مثل
أدبك وذوقك . ولو أنشأنا مليون قصيدة في الرناء لمجزنا عن

كلمة الصديق فيك ، يا أصدق الأوفياء
أكرمك الله وأعزك ، وجعلك من أهل الفردوس

رفق واطف

كان جاد المولى بك رفيقاً جداً بمعاونيه من المفتشين فلا
يصدر رأياً إلا بعد الاستئناس بما عندهم من آراء ، وكانت صلاته
بالمراقبين صلات أخوة صافية ، وقد بلغ به التواضع أبعد مبلغ
فأشهم بالضعف ظلماً وعدواناً ، وجرت القالة بأنه يعجز عن درء
الشر إن وجه إليه ، وهذه القالة وتلك التهمة مهدومتان من
الأساس ، فجاد المولى بك لم يكن يحب الخصام ولا القتال ،
حتى نطالبه بالمقدرة على اللدد والنف ، وإنما كانت فطرته تهديّة
دائماً إلى إثبات الرفق والمسالمة مع جميع الناس

وما الموجب لأن تكون حياتنا كلها قتالاً في قتال ، بحيث
لا نتصور الشجاعة إلا بصورة واحدة هي المصاولة والفتك
والإيذاء ؟

وما الذي يمنع من أن نري في ضبط النفس شجاعة تفوق
كل شجاعة ؟

إن المظاهرة بالميداء أخف وأسهل من المجاهرة بالصفاء ،
لأن العداء العنيف هو البقية مما ورنناه عن عهد الوحشية ،
ولا كذلك التلطف والترفق ، فهما من مظاهر الرق في الشبائل
الإنسانية

والحق أن أخلاق جاد المولى بك كانت فوق ما نطيق ،
ولهذا كان يحب ناس أن يزيقوها ، ليستروا عجزهم عنها ،
فقد كانت من المعجزات

أين من يصدق أن كبير مفتشي اللغة العربية لم يكن يقدر
على توجيه كلمة فيها صورة الأمر للسامع الذي يحفظ ودائع
مكتب التفتيش ؟

لو كان تطلقه مع الرؤساء ناشئاً عن ضعف لوجب أن
يكون أسداً في معاملة الضعفاء

وهذا بحث إن أطلناه طال ، والمقام يضيق عن الإطناب

مؤلفات جاد المولى بك

أشهر مؤلفاته كتاب « محمد المثل الكامل » وقد طبع غير مرة ، وانتفع به كثير من المسلمين ، ثم ترجمه أحد الأفاضل إلى اللغة الفارسية باسم « عظمت محمد » ، وبهذا وسيل نفعه إلى أبعد آفاق الشرق الإسلامي

ومن خير مؤلفاته « كتاب الأخلاق » وهو كتاب فصل به المذاهب الأخلاقية أجل تفصيل

ثم ماذا ؟

ثم يكون الرد المفعم على ما اتهم به جاد المولى بك ، فقد قيل وقيل إنه وضع اسمه على مؤلفات كثيرة بوصف أنه اشترك في التأليف مع أنه لم ينته بقطعه فصلاً من فصول تلك المؤلفات ولهذا التهمة أصل من الصحة ، ولكن التهمين تناسوا جوهر القضية ؛ فقد كان الرجل أستاذاً كبيراً ، والأستاذ يوجه أكثر مما يؤلف ، وبالتوجيه السديد أنشأ جيلاً من المؤلفين النوايع ، وهم تلاميذه الأوفياء ، وإرشاده وبجهودهم زودت المدارس بالطايب المؤلفات الأدبية والدينية . وهذا فضل لا يحجده إلا أهل العقوق

نحية وسهرم

أما بعد ، فإني أسارع إلى رثاء هذا الرجل الكريم ، لأنني أخشى أن لا يجد من يرثيه ، فإنا كانت له عصبية دنيوية ، ولا كان يحب أن يكون له اسم طنان ، ولا كان يعلن معرفته ليقال إنه طوق جيد فلان أو فلان

كانت أعماله لوجه الله ولوجه الوطن في صمت وسكون لم أستطع المشي في جنازتك يا أستاذي وسديقي وزميلتي ؛ فقد هدني الحزن الذي رأيته على وجوه رجال المعارف يوم موتك ، وهو حزن صادق من رجال صادقين

أني الحق أني لن أراك بعد اليوم ؟

أني الحق أن إخوانك بوزارة المعارف لن يجدوك إن افتقدوك ؟

عندي خبر أبلغه إليك ، وهو أننا تلقينا اليوم خطاباً باسمك أرسلته الرابطة العربية تدعوك فيه إلى موافاتنا بزيادة الدكتور محجوب ثابت لتنظيم الاحتفال بتأبين الأستاذ محمود بك بسيوني ، رحمه الله ورحمك

فأرايك في أسبوع أفقد فيه صديقين كريمين ؟

أتكون الدنيا غادرة إلى هذا الحد المزعج ؟

ما أسعد الذين شيعوه وشيموك إلى مثواه ومثواك

عند الله أحسب فجميعي في صديقين قد لا يوجد بمثلهما الزمان ، ومن الله أستعد العزاء ، فليس من العدل أن أشق لفراق صديقين يُشغلان عني بما أعد الله من النعم لأهل الصدق والوفاء .
زكي مبارك

صدر حديثاً

شم — رزاد

لتوفيق الحكيم

يطلب من الناشر مكتبة الآداب
بالجنايز بالقاهرة ت ٤٢٧٧

ومن جميع المكتبات الشهيرة
في مصر والأقطار العربية

ونعته ٢٠ قرشا